

وَيْقَّة لِادَانَةِ آمَنَةِ

بِاسْمِ عَطَا

والأسماك ، على فكرة السمك مفيد للصحة كثيرا ، ثم ماذا ؟ ثم صحك مودعون رسيون لباب الضائرة . . . والآن هم بانتظارك يا عزيز وكلهم شوق لرؤياك . وسر هذا الشوق هو لسانك الطويل . . . إنه بحاجة للتهديب ، فهو وأفكارك علتك الوحيدة ، وبسببها خسرت أشياء وأشياء لا حصر لها ، خسرت وظيفتك وكل قرار لتعيينك . . . وأيضا زوجتك لما جاءك عمك غاضباً وهو يقول باصرار :

- لك أن تختار إما ابنتي أو أفكارك الخطرة ؟؟

وأنت « اسم الله عليك » صاحب مبادئ ، بل خيل لك مرات أنك المسؤول عن كل شيء ، ونسيت أنك مجرد رقم تافه وصغير في حضن أمة الهمجية ، لقد نصحتك أكثر من مرة قلت لك ان أمانة بالنسبة لها القتل وسيلة وغاية ، وأنا لا أعتبك الآن ولكنني أود معرفة ماذا تعني لك أمانة ؟ مبدأ . . . عقيدة . . . أم وطن ؟ فالمبادئ والعقائد يا صاحبي انعدمت أمام الخوف ، والوطن ما عاد الا مصيبة ابتلي بها أمثالك أصحاب العقول الضعيفة ، فأبشع جريمة تعاقب عليها هي أن تكون أميناً مخلصاً ، وإذا كنت تفكر بدخول التاريخ ، فيؤسفني بأن أعلن لك بأن أبوابه أغلقت ، لأنه لم يعد به مكان شاغر ، مسكين أنت يا راضي . . . لقد بال عليك الشيطان ! فأينما تذهب فأنت ملعون ، فبرغم من خطوات السنين الثقيلة فما زلت بترحالك كالعجري ، تبحث بذهول عن أمان انسانية حرمت ومنعت لأسباب لا يعلمها الا الله . . . تسير وخطواتك يسابقها الأسي ، تعب الدرب منك وضاق العمر بك وأنت تقدس أمانة ، بينما هي تفترس أبناءها وتلفظ كل المخلصين هنا ، فالى متى يا راضي روحك القلقة تتوجع ، وجسدك المتآكل يتسكع في المعمورة خلف الشعارات الجوفاء ؟ تكلم ! والله خدعك هؤلاء الفلاسفة صناع المبادئ ، صدقني كلهم كذابون من سقراط الى آخر فيلسوف معاصر . . . كلهم تجار لغو لم يصدق بهم أحد سوى « أنشتاين » بنظريته « النسبية » ، فكل شيء في الوجود نسبي ، مثلاً الصرصار عالمه وكيانه مختلف عن النحلة ، أي الأمر

- ماذا تطلب ؟

- شكراً . . . لست جائعاً .

جيان . . . لماذا لا تصرح بالحقيقة ؟ قل عدلت عن رأيي . . . ولا أريد الاستمرار بهذه الرحلة ، فهل تسعدك العودة الى أمانة وأنت محمول على جناحي الألم والشوق ؟ لا أظن أنك نسيت القلق . . . الشك . . . الرعب ، انهم أصدقاؤك وأحباؤك الدائمون في أمانة . . . أم « جيانا » استطاعت أن تنسيك كل هؤلاء ؟ ولعل حبها أيضاً قتل ذاكرتك ! الحب !! اننا لا نعرفه مطلقاً ، ليس لدينا الوقت للاحساس به . . . فكل منا يخرج لهذه الدنيا للبحث عن حجر يؤويه . . . ويفلت العمر من بين أيدينا وكل منا يجري خلف ورائق السفر . . . الحب ليس له أي دور في حياتنا مطلقاً ، سوى أنه كلمة رومانسية . . . بل كلمة غطائية ممتازة . . . لذلك نتخذها مصطلحاً مركباً لحب أمانة ، فنجد جزاري البشر . ما هذا الكلام ؟ أصبحت فيلسوفاً ناطقاً يا راضي السهل . . . سبحان مغير الأحوال . . . أنت خائف يا راضي ولا تريد العودة أليس كذلك ؟؟ بل أريد . كذاب . . . أخرج الكبسولات من جيبيك . . . أخرجها يا وقح ، بماذا أجبت « جيانا » لما رمقتك بأسى وهي تسألك ؟ :

- كيف ستواجههم ؟ كيف ؟

- لقد ابتسمت بمرارة ، وبصوت مخدوش من الألم أجبتها :

- اذا وجدت مستقبلين لي فسأبلع هذه الكبسولات ، انها تقتل

الفيل خلال دقائق .

أتوقع أن يكون استقبالك كاستقبال بطل المبي أو مغني كبريات ؟؟ كن واقعياً يا راضي - نعم سيكون بانتظارك مستقبلون كما كان لك مودعون . . . دائماً النهاية تكمل البداية ، وإلا كان شذوذاً أو تمثيلاً ، ففي البداية وضعوا أمامك الخارطة وخيروك بين بقاع العالم ، وأينما وضعت اصبعك ضربك محدثك بالعصا التي بيده وهو يقول :

- هنا علاقتنا سيئة . . . أما هنا فوكر لأعدائنا .

وأخيراً اختاروا لك الدائمرارك . . . فهي غنية بالألبان

- لو كان للكرة الأرضية جاذبية على مر الأزمان الطويلة لتقلص حجمها .

« كوبرنيكوس » جديد لكنه معتو ، لذلك كان جزاؤك عدة صفعات وركلة من مدرسك ، فمند نعومة أظفارك وأنت معارض، متمرد، حتى صارت عندك مناعة ضد العقاب . . . واستمرت في معارضتك كل شيء . لست المعارض الوحيد الوحيد ، فأمثالي كثيرون طبعاً يوجد مجنون واحد في هذا العالم ؟ ولماذا لا تقول بأن كل المجانين في أمانة فقط؟ لعنة الله عليك حتى أنا ضميرك تعارضني وتجادلني . . . أه لوصوتي يسمعه الآخرون لصحت بأعلاه قائلاً :

« أيها السادة هذا راضي السهل المهندس المعماري والذي فشل فشلاً ذريعاً في بناء نفسه ، لأنه خدع نفسه بكومة مبادئ وقيم . . . وساند الآخرين في الوصول ، وأخيراً أهده وسامين من معدن النحاس الخالص . . . ولم يمد ربه على الوسامين بل اعترض واحتج بصوت مرتفع لأن جاره ما زال جائعاً .»

مهزلة . . . مهزلة ! تصوّر نفسك يا راضي وأنت بمبلايسك الداخلية والوسامان حول عنقك . . . انها ثقيلان . . . وحتماً سيتعبانك كثيراً ، ولا تنس ما قاله لك الطبيب بعد اجراء الكثير من الفحوصات ، لا . . . لن تنسى كلماته ، انها كجرس الانذار الأخير . . . لقد قال لك :

- شرايين قلبك ليست سليمة . . . لهذا تعاني من عدم انتظام في ضربات قلبك .

ثم قدم لائحة طويلة من الممنوعات ، أهمها ، لا تجهد نفسك عضلياً أو فكرياً . . . تجنب الانفعال والمفاجآت راضي . . . راضي الرجل الذي يجلس في الجهة اليمنى . . . انظر اليه جيداً ، انه يشبهك كثيراً لعله أحد أقربائك . . . رأيتك ؟ أرى رؤيا غامضة . . . ألمح بها موتي الصامت يتهادى على أمواج تشردي ، وشلالات الغرابة تصب في نابوتي ، وأمنياتي كالذباب تتساقط على سطح مستنقع يأسى . لا تكن متشائماً هكذا ، فالموضوع لا يتطلب سوى القليل من التنازلات ، نعم . غير أفكارك وعش لنفسك ، فقامة السعادة والانسانية في عصرنا بأن تكون خارج الأسوار بأي طريقة وثمان ، فهم لا يستنون أحداً من ضيافتهم ، فالثقف واجاهل ، الكبير والصغير ، الغني والفقير ، كلهم سواء أمام شكهم ، والدليل كنت دائماً تردده لعشيقتك « جينا » إنها حكاية الاسكافي الذي شارك الضيافة في منزلهم الشعبي . . . ألم يسألوه وهم يجلدونه :

- ايها الشيعي اعترف .

فاعترض وهو يتوسل قائلاً :

- أنا سني والله العظيم .

وهو بالفعل لم يكن يعرف قيمة الواو التي حذفها . . . كلنا عاجزون أمام الوضع . وليس باستطاعتنا فعل أي شيء ، أم تتصور

نسبي ، فكيف تريد نقل ما تراه خارج أمانة الى داخلها ؟ ثم إن أهاليها تعودوا الوضع بل صار بالنسبة لهم شيئاً طبيعياً ، لذلك كل ما تفعله وستفعله سيكون كالمثل الشعبي والذي يقول : - « . . . في سوق الصفارين ضايعة » .

ان عشقت لأمانة تحول الى مؤامرة لاغتيالك . . . فأنت لست بحاجة للحب بل للحقد ، فتعلم كيف تحقد ، فما الذي حفظ اليهود طوال تلك العصور من الانقراض بالرغم من كل المحاولات لإبادتهم ؟ إنه حقدهم ! انهم يكرهون كل شيء ، فالحقد يولد الغضب والعناد ، فاجعل حقدك كحقد البعير . راضي اعلم أنك لا تستوعب كلامي بل تراه جنونيا . . . ولكنني أنصحك أولاً بالكفر بكل ما تؤمن به ، نعم ، نعم . يجب أولاً التخلص من الانشقاق والانهيار اللذين بداخلك ، وبعد ذلك فكر بكلامي .

- أتشكو من شيء ؟

- هه . . . لا أبداً .

- إن العرق يتصبب من جبينك بغزارة !

- لا . . . لا شيء هذا الأمر اعتدت عليه .

أخبرها بالحقبة ! قل لها إنني أعاني من هبوط في القلب وسقوط بالروح ، وهذا العرق هو عرق جبني وخوفي . . . لا تخف منها ! فهذه المضيغة معجبة ومهتمة بك ، فأنت ما زلت وسياً بالرغم من الثلاثين سنة . . . بل وزير نساء ، فالنساء يعشقن الرجل الفاضل لسهولة السيطرة عليه ، وامارات الفشل واضحة كسمرة بشرتك الصحراوية وسواد شعرك وعينيك ، إنك تثير شفقتي وعطفي يا راضي ، واسمح لي بتعزيتك مبكراً لموتك القريب . ولم العجلة ؟ لعلك ستعيش أسبوعاً آخر ! لكنه سيكون مرعباً . . . مؤلماً ، وأخشى ألا تتكرر فرصة لتعزيتك ، فأنا واثق انهم اشتروا آلات وأجهزة ، بل واخترعوا وسائل وطرقاً حديثة لم يحصل لك الشرف بتجربتها . باختصار ليس أمامك أي منفذ للنجاة . . . فلماذا لا تتخلص من كل هذا وتتحرق ؟ هراء ، أنت جيد هذه الدرجة أو هموك بخدع لفظية ، ولا أعرف كيف تقنع نفسك بالأمر هذا ؟ فاذا مت لأجلهم فأنت شهيد وإلا فأنت جبان . . . هل لك باقناعي ؟ كفى . . . كفى هذيانا . كفى أنت لا أنا واتكل على الله وتناول كبسولاتك . . . وأكتب وثيقة لادانة أمانة ، قم . لا قم الآن . لا . . . لا لن أفعل . أه تذكرت لما سألتك « جينا » قائلة بعجب :

- لماذا تسلمهم نفسك بهذه السهولة ؟؟

- لأنهم يهددون سلامة والدتي العجوزين .

حسناً . . . انتحر واكتب بالوثيقة انك انتحرت احتجاجاً على برامج التلفزيون . . . أو احتجاجاً على تلوث البيئة ، والناس سيخمنون السب الحقيقي . اخرس . هذا أنت منذ طفولتك تعارض وترفض . . . أتذكر اذ كنت في المرحلة المتوسطة ، حين وفقت أمام مدرس العنود لتقول بكل ثقة :

صحيفة أمانة الرسمية ، العدد ١٠٩٥ للسنة الثالثة .

* أمانة : - توفي يوم أمس في الطائرة المهندس المعماري الكبير راضي السهل ، وذلك أثناء عودته من بعثة رسمية للدنمارك والتي استغرقت خمس سنوات .

* باريس : فرانس برس - أمانة - طاف آلاف المتظاهرين شوارع باريس وهم يحملون لافتات تطالب الحكومة بتشديد القوانين لحماية حقوق الحيوانات ، والجدير بالذكر كان على رأس المتظاهرين « المسيو فرانسوا سيزان » عمدة باريس والنجمة العالمية « بريجيت باردو »

نك قادر باحزان شتائنا وبأمطار صيفنا الشحيح زراعة صحراء أمانة؟ فهذا مستحيل ولا تصدق بأن أحدا سبقك وزرع شجرة واحدة ، فجميع الأشجار التي شاهدتها أو سمعت عنها في أمانة كلها اصطناعية . . . مطاطية ، انها لا تعبر عن أي ارادة أو كرامة حقيقية . . . وانما هي لتغيير (الديكور) لا أكثر . . . وأعترف لك بأننا نعيش في العصور المظلمة ، فمحاكم التفتيش ما زالت تقوم بعملها عندنا على أحسن وجه ، والمشعوذون أطلق العنان لهم ليخدروا الناس بمفتاح الجنة والترهيب ، لا مفر أمامك فيما الموت أو مد يدك واشتر صك الغفران بصمتك .
- نرجو ربط الأحزمة . . . اكرر نرجو ربط الأحزمة . . .
وشكرا . . .

الدكتور عبد العزيز المقالح

أوليات النقد الأدبي

في اليمن

١٩٣٩ - ١٩٤٨

الدكتور عبد العزيز المقالح

عباس العقاد
مصطفى صادق الرافعي
أبو القاسم الشابي

أحمد شوقي
حافظ إبراهيم
طه حسين